دراساتٌ أدبيّة:

فن الاستجواب في مقدمة كتاب الإمتاع والمؤانسة للتوحيدي

The art of interrogation in the introduction of Tauhidi's "Al-imtāʿ wa Al-Muānasah"

Seni penyiasatan dalam Pendahuluan karangan Tauhidi "Al-imtāʿ wa Al-Muānasah"

سهيل محمد خصاونة*

محمد علي بنيان**

ملخص البحث:

تهدف الدراسة إلى بيان فن الاستجواب في مقدمة **كتاب الامتاع المؤانسة** لأبي حيان التوحيدي، والتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، من خلال سرد أبي حيان التوحيدي في مقدمة كتابه **الإمتاع والمؤانسة** قصة تأليفه، يقف القارئ مذهولاً أمام الدافع الحقيقي وراء كتابة هذا السفر الذائع الصيت، فلقد كان السبب المباشر في شروع أبي حيان في كتابته هذا المجلد العظيم، هو طلب –بصورة استجواب– قدمه له صديقه أبو الوفاء المهندس؛ بحيث يقوم بكتابة كل ما دار بينه وبين الوزير ابن سعدان (ابن العارض) من حديث سمر دار بينهما، ولم يأخذ أبو حيان عليه إذناً مسبقاً من أبي الوفاء، فيلبي أبو حيان هذا الطلب مبتلعاً هذا الطلب الشرطي المهين، مقراً ومعترفا على نفسه بخطئه. توصلت الدراسة إلى ما يأتي: لقد كان الباعث على تأليف كتاب الإمتاع والمؤانسة هو طلب بصورة استجواب وتحقيق شرطي أمر به أبو الوفاء المهندس صديقه أبا حيان التوحيدي، وهذا ما صرح به أبو حيان تصريحاً في مقدمة كتابه فتغير طعم الإمتاع وتغير طعم المؤانسة.

الكلمات المفتاحية: أبو حيان–الامتاع والمؤانسة–أسلوب أبي الوفاء–ردة فعل أبي حيان–الإذعان للاستجواب.

* أستاذ مشارك، كلية العلوم والآداب، قسم العلوم الإنسانية، شعبة اللغة العربية، جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية، إربد، المملكة الأردنية الهاشمية.

** أستاذ مشارك، كلية العلوم والآداب، قسم العلوم الإنسانية، شعبة اللغة العربية، جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية، إربد، المملكة الأردنية الهاشمية.

أرسل البحث بتاريخ ٢٠١٨/٩/٨م، وقبل بتاريخ ٢٠١٩/٤/٢م.

Abstract

The study aims to explain the art of interrogation in the introduction of Abu Hayyān Al-Tauhīdī's Al-Imtaʿ wa Al-Muānasah. The study focuses descriptively and analytically on the narrative of Abu Hayyān in the introductory part of his book, on the story about the reason of his writing to enable the reader to grasp the real reason behind the writing of this famous work. The direct reason that makes him write this voluminous work is a request - in the form of interrogating- made by his friend Abu Al-wafa' Al-Muhandis to write on the night conversation between him and the Minister Ibnu Saʿdān (Ibnu Al-āʿridh). Abu Hayyān initially gave in to the request of the mean police. He, later on, admitted his fault. The study concludes with the following; the reason for writing the book is the request in interrogative form an investigation of the police instructed by Abū Wafā' Al-Muhandis to the Abu Hayyān. This had been stated by Abu Hayyān at the beginning of his book that to a certain extent affected the meaning of "Imtāʿ as enjoyment and "Muānasah" as intimacy.

Keywords: Abū Hayyān – Al-Imtāʿ Wa Al-Muānasah – The style of Abu Wafā' – The response of Abū Hayyān – Conforming to Interrogation

Abstrak

Kajian ini bertujuan untuk menerangkan seni penyiasatan dalam Pendahuluan karangan Abu Hayyān Al-Tauhīdī's Al-Imtaʿ wa Al-Muānasah dengan fokus secara deskriptif and analitikal terhadap naratif Abu Hayyan di dalam bahagian pengenalan karangannya itu. Ia adalah berkenaan dengan sebab penulisan karangan tersohor beliau itu. Sebab utama yang membuatkan beliau menulis karangan yang berjilid-jilid ini – dengan cara soal-jawab penyiasatan – dbuat oleh kawan beliau Abu Al-Wafa' Al-Muhandis untuk menulis tentang perbualam malam hari di antara beliau dan Menteri Ibnu Saʿdān (Ibnu Al-āʿridh). Abu Hayyan akhirnya terpaksa akur dengan tekanan tersebut yang merupakan ugutan polis yang mengancam. Beliau bagaimanapun mengakui perkara tersebut adalah kelemahannya. Kajian ini merumusakan: sebab penulisan buku ini adalah kerana permintaan untuk merekodkan perbualan kerana tekanan melalui penyiasatan pihak polis yang diarahkan oleh Abū Wafā' Al-Muhandis to the Abu Hayyān. Perkara ini telah dinyatakan oleh Ibnu Hayyan pada permulaan karangan beliau yang telah memberi kesan kepada maksud buku itu sendiri yang bermaksud hiburan dan keintiman hubungan.

Kata kunci: Abū Hayyān – Al-Imtāʿ Wa Al-Muānasah – Cara Abu Wafā' – Jawban Abū Hayyān – Akur kepada penyiasatan

مقدمة:

الإمتاع والمؤانسة عنوان، تجتمع فيه خصلتان، تتوق لهما النفوس، وترتاح لهما القلوب، فما أجملهما مجتمعتين، وهكذا هي الحياة دائماً، ننظر للأشياء فيها –من بعيد– فنراها في صورتها الأخيرة دون أن ندخل في التفاصيل، فإذا ما اقتربنا وتفحصنا، اكتشفنا أن ليس كل بيضاء شحمة، ولا كل سوداء فحمة وأن هناك –في الغالب– مفاجآت في التفاصيل، فلم يكن بذهن أبي حيان وهو يسامر الوزير ابن سعدان (هو نفسه ابن العارض) لقد كان الباعث على تأليف كتاب الإمتاع والمؤانسة هو طلب بصورة استجواب وتحقيق شرطي أمر به أبو الوفاء المهندس صديقه أبا حيان التوحيدي، وهذا ما صرح به أبو حيان تصريحاً في مقدمة كتابه فتغير طعم الإمتاع وتغير طعم المؤانسة.

لم يكن يتوقع أو حيان أنه سُيطلب منه تدوين ما كان يجري بينهما من حديث سمر رفيع المستوى أو خفيضه، فلما فاجأه صديقه أبو الوفاء المهندس بطلبه الاستجوابي الذي تفوح منه رائحة الغيرة والحسد، بلع أبو حيان هذا الطلب المهين، وأظهره حقاً شرعياً لصاحب الطلب، وتقصيراً شخصياً منه يستوجب الاعتذار –وهذا أسخن للوجه – وأدعى للتكيف، فالتجاهل والتغابي، وإظهار عدم الفهم من وسائل التكيف لكثير من الحالات التي يستعملها الإنسان الضعيف في مواجهة أمور لا يستطيع الوقوف بوجهها، ومداراة أشخاص لا يقوى على مجابهتهم؛ ضعفاً أو مجاملة أو خجلا؛ لأنهم ظلمة، وأولو قوة وتجبر، وأصحاب تفضل وتمنن.[1]

تهدف هذه الدراسة إلى استقراء وتحليل مقدمة كتاب **الامتاع والمؤانسة** لأبي حيان التوحيدي باعتباره كتاباً قيم يشار إليه بالبنان في الأدب العربي، وهو من عيون النثر عند العرب؛ لذا عمدنا إلى استنباط ما يجول في نفس المؤلف من رؤى وتطلعات أمام العديد من تحديات الحياة آنذاك، وكيفية تعامل التوحيدي معها؛ حيث يجد الدارس المدقق في مقدمة الكتاب أن التوحيدي أفضى بكلام كثير يستحق الوقوف والتأمل، يدفع الناقد إلى التعرف على شخصية محتارة يشوبها الغموض في كثر من الأحيان؛ من هنا تأتي هذه الدراسة؛ لتجلي ما تعكسه شخصية المؤلف، وما يدور في عالمه النفسي في ظل ظروف اجتماعية وسياسية مضطربة، وكيف تمكنت هذه الشخصية من التعامل مع هذه المواقف كما ظهر في مقدمة كتابه الامتاع والمؤانسة، باعتبار أن هذه المقدمة هي عتبة الكتاب التي تؤهل للدخول إلى النصوص وسبر أغوارها، إن المدقق في مقدمة كتاب الامتاع والمؤانسة يرى صورة صادمة لشخصية أبي حيان التوحيدي؛ حيث تأتي هذه الشخصية مشحونة بطبيعة الحالة النفسية لصاحبها، وتعد مقدمة الكتاب قطعة من نفس أبي حيان وأن كل كلمة فيها تعكس الحالة النفسية له، من هنا عمدنا في هذه الدراسة إلى تطبيق المنهج النفسي باعتباره الأداة الأنسب لدراستنا هذه.

أولاً: مقدمة الامتاع والمؤانسة

تذكرنا مقدمة كتاب **الامتاع والمؤانسة** بـ: (خضراء الدمن)، قيل: وما خضراء الدمن؟ فقيل: المرأة الحسناء في المنبت السوء. إن الامتاع والمؤانسة كتاب قيم؛ لكن الأساس الذي بني عليه لم يكن مشرفاً لأبي حيان شخصياً، كما لم يكن المحرك الأول والباعث عليه صادراً عن إرادة شخصية لصاحبه أو لرغبة داخلية حرة فيه، بل كان تنفيذاً لطلب إجباري، واستجواباً شرطياً مذلاً، وتقريراً وجوبياً عليه أن يعده لأبي الوفاء المهندس، ذلك الصاحب المنان المتفضل، وهو أمر وإن ساء، فإنه أحسن للأدب عموما.

١. أبو حيان:

نشأ أبو حيان في بغداد، وانتقل إلى الرّي، ومات في شيراز، وهو فنان، وناقد، ومفكر، وأديب، وفيلسوف، ومتصوف. ولعله أول عربي وضع علم الجمال العربي من آراء معاصريه التي تتفق مع فلسفته الشخصية، مضيفاً إليه من أفكاره بأسلوبه المحكم الرائع؛ ما يجعله أقرب إلى فلسفته،[٢] وكان عربي النزعة والاتجاه؛ فكرهه أدباء فارس خاصة الصاحب بن عباد.[٣]

يرجح إحسان عباس أن تكون شيراز مولده؛ لأن صلته بها قوية، ويحن إليها، كما أن اتصاله بالوزير ابن سعدان الشيرازي الأصل تؤكد ذلك، كما أن عودته في الأخير إلى شيراز وهي مربط الصوفية ومركز أهل السنة القوي تزيد في توثيق هذه المعلومة.[٤]

بدأ حياته كاتباً ناسخاً بأجر زهيد يعطى إليه على الصفحة، فكان مجهود الأنامل والعينين، لم يستطع الوصول إلى أمراء عصره، إلى أن اتصل ببعض قضاة زمنه، وبالوزير ابن العارض.[٥]

بدأت شهرته بأول ميله إلى التأليف، وعاش متنقلاً ما بين ٣٥٠ – ٣٥٨هـ، ثم استقر ببغداد، ثم عاود التنقل، وقد حج في هذه الحقبة، وذلك عام ٣٥٣هـ وغادر مكة عام، ٣٥٤هـ، علماً أن الحج عند الصوفيين ثلاثة أنواع؛ فهناك حج لمرة واحدة، وهناك حج دائم، وسفر مستمر، وهناك حج دائم في مكة، وإقامة دائمة عند المشايخ، وأبو حيان كان من الصنف الأول.[٦]

عاش أبو حيان في زمنٍ فسد فيه الذوق العام، فلم يعرف الناس فضله وأهمية شأنه، على الرغم أن له أسلوبه المتفرد المستقل، مثله في ذلك مثل أدباء زمانه، مثل ابن مسكويه وأبي أسحق الصابئ.[٧]

وكانت ميزة أبي حيان تكمن في كونه أديباً لا يبحث عن روائع الأشكال اللفظية، بل هو فيلسوف فنان، يبحث عن الحقيقة ويثير التساؤلات؛[٨] لكن ما يسجل على أبي حيان في هذا المجال، أن

معالم فكره الفلسفي والفني لم تكن منتظمة، بل مبعثرة هنا وهناك، شأن كثير من المفكرين العرب والمسلمين قديما وحديثاً.[٩]

٢. طبيعة شخصية أبي حيان:

وصفه ياقوت بقوله: هو فرد الدنيا الذي لا نظير له، ذكاءً وفطنةً ومكانة، كثير التحصيل للعلوم في كل فن، حفظه واسع الدراية والرواية، وكان متفننا في النحو، واللغة، والشعر، والأدب، والفقه، والكلام على رأي المعتزلة. وكان جاحظياً يسلك مسلكه؛ لكنه كان كما أضاف ياقوت إلى أوصافه سخيف اللسان، قليل الرضا عند الإساءة إليه، الذم شأنه، والثلب دكانه، يتشكى صرف زمانه، ويبكي في تصانيفه على حرمانه،[١٠]

تفاعل أو حيان مع الحياة بقوة، وعنف، ورهافة شعور، وتوقد ذكاء، وحدة طبع، وهو مع هذا شديد الالتفات لذاته؛ ما جعله من أقدر كتاب العرب القدامى على تصوير خلجات النفس الإنسانية وأخيلتها؛ لكنه كان أديباً فقيراً من رواد القصور، مريضاً بجملة من الأمراض النفسية، جعلته ينتقل من حياة النفاق في أوساط القصور، إلى حالة التصوف ثم الإقدام على حرق كتبه أخيراً.[١١]

عاش أبو حيان في زمن الأفذاذ والشعراء والعلماء، وحاول أن يلمع نجمه، وبعد أن طاوعه الزمن، وصار محدثا للوزير ابن سعدان (ابن العارض) كانت دولة الشهرة والعلماء قد أوشكت على الغروب، فمات المتنبي، والسيرافي، والفارابي، وأمثالهم، فضاع أبو حيان بين المرحلتين، وزاد من ضياعه اهتمامه بالفلسفة، وعامل آخر، هو نفسيته التي تأبى المجاملة؛ لكنها لا تكف عن الاستعطاء،[١٢] ويرى محمود إبراهيم أن قدرة التوحيدي الملحوظة على قراءة النفوس وتحليلها، وترجمة ذلك بالعبارات البليغة، هي التي كرهت الناس به، وكانت سبباً في نفور الناس، وتخوف أصحاب الشأن منه، ومن ثمّ إبعاده وإقصاؤه، وله المثل الأوضح في هذا عندما حلل نفوس نفر من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم في رسالة السقيفة،[١٣] ولا ننسى أنه عاش في زمن طغى فيه المذهب الشيعي، وحقق انتصارات في شرق البلاد وغربها، فكان فرداً وحيداً، لا يستطيع الوقوف بوجه تيار انهزمت فيه دولة الخلافة العباسية، ولعل أبا حيان كان شخصاً ساذجاً، وذلك حينما ألف رسالة على لسان أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، موجهة إلى علي كرم الله وجهه، حين أظهر تمنعه عن مبايعة أبي بكر بالخلافة، دون أن يدرك أن رسالته تكشف شخصيته هو ورأيه الفكري كما يقول إحسان عباس.[١٤]

لعل ما أشقى أبا حيان وأتعسه هو اعتقاده أنه يستحق أكثر، وأنه أفضل من كثيرين، وهذا الأمر الذي كأنه يتعلق بالاعتراض على تقسيم أرزاق مشقٍ لصاحبه مذل، عقوبة نفسية من الله يزرعها

في فكر هؤلاء الناس، ولهذا بدا أبو حيان كأنه الفقير الوحيد في زمنه، علماً أن طابع زمنه العام كان الفساد، وقلة الرشاد، وهو يعترف بذلك في كتابه الإمتاع والمؤانسة؛ حيث يقول في مقطع الوداع لليلة التاسعة والعشرين: (إنه مر بي اليوم حديث يضارع ما جرى منذ ليال في فساد الناس وحؤول الزمان، وما دهم الخاص والعام في حديث الناس الذي هو العمود والدعامة في عمارة الدارين، وقد طال تعجبي منه، وصح عندي أن الداء قديم والوجع منه أليم).[١٥]

لقد فاجأت الأحداث أبا حيان أكثر من مرة، فقد اجتاح العيارون بغداد عام ٣٦٤هـ، فضاعت جهوده في الوراقة، وهاج به الحنين إلى مجالس ابن العميد ٣٦٤هـ، فما كاد ابن العميد يعود إلى الرّي، حتى ركض وراءه حاملاً رسالة مدح يفتح بها باب الرزق، وهي ربما تكون أول رسالة يكتبها على طريقة القصيدة في المدح أولها يدعو صاحب الرسالة لنفسه، ويختمها بالدعاء لمتلقيها، ويتوسطها مناجاة للنفس، ثم يتلوها التفات لشخص آخر. كما واجهت أبا حيان مشكلتان على رأي إحسان عباس، هما: مشكلة العلاقة بين الذكاء والفقر أو مشكلة ذوي الفضل، ومشكلة السعي نحو الوصول للحقيقة الموضوعية؛ أما مشكلة ذوي الفضل، فهي مشكلة العالم الإسلامي؛ حيث أعطت الشعر والنثر صبغة فارقة وأطلقت مرارة ابن الرومي وغرور المتنبي وحيرة أبي العلاء وشكه وبنت حول الشريف الرضي صومعة الاعتداد بالنفس، وبررت فلسفة الحظوظ، ومهدت للشعور بالعجز والاضطهاد، وهي المشكلة التي أطلقت الفكر إلى عالم الشك أو نزلت به إلى جحيم الشكوى، علماً أن أساسها اقتصادي بحت؛ لكن حاول كل واحد أن يفلسفها على طريقته، فهي في صورة تبدو مشكلة في توزيع الأرزاق، وهي بصورة أخرى، تبدو صراعاً بين الطبقتين الأرضية والسماوية، وتبدو في ثالثة انجذاباً متردداً بين الواقع والمثال أو بين مطالب الجسد ونزعات الروح.[١٦]

إن ميل أبي حيان إلى الفلسفة، دفعه إلى تغليب الفكر على العاطفة؛ لكن طبيعته الفنية، جذبت الأدب إلى الفكر، وصير الأدب مؤسساً على الفكر، وصارت الفلسفة عنده مرونة تعبير أدبي، فتزحزحت عن الدقة والفكر المنطق، وفقدت على يديه ركيزتها، وابتعد أبو حيان عن الحقيقة المنطقية التي كان يسعى إليها، وأدركه الإخفاق.[١٧]

ولربما يكون أبو حيان شيخا يمثل الفصام بين الفكر والواقع؛ حيث كان صوفي التفكير نظرياً؛ لكنه كان بعيداً كل البعد عن مضمونه، يرتدي العمامة والمرقعة، ويهفو قلبه إلى كل صوفي، كما أن لباسه هذا أورثه شعوراً بالحقارة والمهانة، وأنه غر لا هيئة له في لقاء الكبراء، فامتزج بالجائعين والمكدين؛ ما سهل عليه الكدية والتعرض للناس، ولربما كان لكتابه الصوفي **لحج العقلي إذا ضاق الفضاء الشرعي** أثر قوي في اتهام الناس له بالزندقة.[١٨]

تبدو شخصية أبي حيان شخصية، ذلك الإنسان الذي لديه استعداد لفعل أي شيء، من دون أن يبدي إيماناً مركزاً بأي قضية، وهذا الوضع هو أخطر شيء على الشخصية؛ حيث يهزها هزاً عنيفاً، ويجعلها قلقة غير متزنة. ولعل خوض أبي حيان في كل فن، يمثل هذا الانفلات في فكره، فالغاية عنده تبرر الوسيلة، فالمهم أن يصل إلى رضى الآخرين من أجل هدفه الشخصي، فظهر خانعاً ذليلاً، ليس لديه احترام لنفسه، يقول إحسان عباس بأن حياته، تاريخ لخيبته المستمرة، حياة رجل مغمور عاش صاخباً متذمراً حاقداً ناقماً من دون أن يعبأ به أحد، لا يخلق له فكرة واضحة، ولا يسعى ليجمع حوله أنصاراً، فهو يمثل حالة وقوع الفرد في المأساة؛ لأنه لا يفهم معنى الصراع الجماعي،[١٩] زد على ذلك أن أبا حيان لم يتبع حزبا، ولا انتمى إلى جماعة؛ لأنه يؤمن أن التقليد هو عدو العقل، فهو اتباع لعقول أخرى.[٢٠]

ثانياً: كتاب الامتاع والمؤانسة

يقول آرنست فشر: (ليس من الضروري أن يكون العمل الفني مفهوماً لكل الناس، فليس وظيفة الفن أن يدخل الأبواب المفتوحة، بل فتح الأبواب المغلقة).[٢١] إن سمعة أبي حيان وكتابه **الامتاع والمؤانسة** في الأدب العربي سمعة طيبة؛ لكن الفكرة وراء تأليف الكتاب، تقوم في أساسها على الاستجواب والإذلال والتركيع، كما جاء في مقدمة الكتاب نفسه، فقد طلب أبو الوفاء المهندس من أبي حيان تقريراً تفصيلياً عن كل ما دار بينه وبين الوزير ابن سعدان، ليس لغاية أدبية بالدرجة الأولى، بل عقوبة وتحقيقاً كما يحقق القضاة والشرطة مع المتهمين أو استجواباً تأنيبياً على تصرفه الشخصي الأرعن في مجالسة الوزير ابن العارض من دون العودة إليه، وتطاوله عليه، وهو ولي نعمته الأول، وهو طلب يتضمن معنى الحسد والغيرة، وقد استجاب أبو حيان لهذا الطلب الذي يدرك في داخله كل المعاني السابقة؛ لكنه ابتلع هذه الإهانة وقرر أن يستجيب ولكن بصورة أدبية، ولذلك قال إنه حتى يكون عمله هذا مرتباً ومقروءً فسيعمد إلى رد هذا الاستجواب بصورة كتاب أدبي، سماه **الامتاع والمؤانسة**، وما هو بإمتاع ولا مؤانسة عندما نعرف الدافع الحقيقي وراء تأليفه، بل هو استجواب ومدالسة، فالمضمون أكبر من الفكرة، وأبعد ولكن الأسلوب خفف كثيراً من أصل الفكرة، والسبب الأول الباعث على تنفيذها، يقول آرنست فشر: (العمل الفني ينغمس في جو عصره ومحيطه، ولكنه يتغير بعد زمن، ويختلف في عالم مختلف عن عالمه الذي وجد فيه ، ويختلف حكم الأجيال القادمة عن الأجيال المعاصرة).[٢٢]

ربما لا يعرف كثير من الباحثين أن تأليف كتاب الامتاع والمؤانسة، كان استجابة لرغبة تحقيقات بوليسية ممزوجة بمشاعر حسد وغيرة ومنّ وتفضّل مقيت من أبي الوفاء المهندس، وأنه لم يكن في أصل مبعثه من أجل الفن أو الأدب، بل دفعاً للشر، وتجنبا لانتقام أصحاب السلطة؛ لكن ابتلاع أبي حيان

للإهانة، وتحويله تهديد أبي الوفاء المهندس إلى حق شرعي، ومطلب حق، خفف من حدة صيغة تهديد أبي الوفاء المهندس في طلبه الشرطي لاستجواب أبي حيان، بل إن أبا حيان نفسه لم يكن يشعر أنه يقوم بعمل أدبي بحت، فلو كان كذلك لما طلب من أبي الوفاء المهندس في بداية الجزء الثاني أن يستر هذا الكتاب عن أعين الناس –وهو يذكرنا بطلب بيدبا فيلسوف الهند مؤلف كتاب كليلة ودمنة عندما طلب من ملك الهند إخفاء كتابه في خزائنه الخاصة– حيث يقول: (وأنا أسألك ثانية عن طريق التوكيد، كما سألتك أولا عن طريق الاقتراح، أن تكون هذه الرسالة مصونة عن عيون الحاسدين العيابين، بعيدة عن تناول أيدي المفسدين المنافسين، فليس كل قائل يسلم، ولا كل سامع ينصف، ولا كل متوسط يصلح، ولا كل قادم يفسح له في المجلس عند القدوم)،[٢٣] وإنه لمن الغريب نسبة بعضهم فضل تأليف الكتاب لأبي الوفاء المهندس،[٢٤] كما أن كتاب **الإمتاع والمؤانسة** كما يقول إحسان عباس يمثل شهادة خطية من أبي حيان المتعصب للوزير الناقل له أخبار أعدائه الساخط عليهم من أصحاب النفوذ ببغداد وابن فارس بقرمسين، والصاحب بن عباد في الري، وغيرهم كثير، ــ وفي تصور إحسان عباس، أن أبا حيان ظل يمثل دور الجاسوس للوزير غصبا عنه،[٢٥] وبعد موت الوزير، هدأ التوحيدي، وكف عن السياسة التي كادت تحرقه، ويضيف إحسان عباس: إن موت الوزير أزاح عن كاهل أبي حيان هما ثقيلاً كان مجبراً على حمله ومجاملته؛ ولذلك انصرف إلى العبادة، وكأنه يريد أن يعيد إلى نفسه صفاءها بعدما شعر أنه لوثها وأهانها؛ ولكنه فشل، فبدل أن تجذبه السماء، زادت نقمته على أهل الأرض، وأدركه الوسواس واعتراه المرض، ومال إلى قطع اتصاله بالناس، وحول فكرة الانتحار إلى كتبه فاحرقها بسبب حالة اكتئاب حادة كان يعانيها؛ لأنه لم يكن راضياً عن نفسه.[٢٦]

ثانياً: سبب تأليف الكتاب

وقع أبو حيان بين نارين: نار الوزير ابن سعدان الذي لمح بأبي حيان موطن ضعف، فاستغله حتى النهاية، وظل يشعره بأنه صاحب الفضل عليه في رفعه عن نظرائه، واختصه دونهم ببعض سره، وقد أحب التوحيدي الوزير، وفجأة شعر أنه وقع ضحية طيبته؛ وذلك لجهله بالسياسة والسياسيين؛ حيث ظهر وكأنه عين الوزير وجاسوسه، وذلك حين أرسل الوزير ابن موسى على الجبل في مهمة، وطلب من أبي حيان أن يرافقه عينا عليه، فامتنع معللا ذلك بقوله: (إن ابن موسى ليس من شكلي، ولا أشد للضد هوناً من الضد؛ لأنه سوادوي وجعد، والسبب الثاني، أن قيل يجب أن تكون عيناً عليه، وإنا لو قررت لك الحديث لما رأيته لائقا بحالي، فكيف إذا قرنت برجل باطلي (يأخذ بالشبهات) لو مر بوهمه أمري لدهدهني (دحرجني) من أعلى جبل في الطريق، والآخر أني كنت أفد مع هذا كله على ابن عباد، وهو رجل أساء إلي وأوحشني، وحاول على لسان صاحبه ابن شاهويه أن انقلب إليه ثانيا، وكنت أكره ذلك وما كنت آمن ما يكون منه ومني والمجنون المطاع مهروب منه بالطباع).[٢٧]

كما وقع تحت نار صديقه أبي الوفاء المهندس الذي أكلت الغيرة قلبه؛ إذ شعر أن أبا حيان استغنى عنه ونسيه، واستأثر بالوزير ابن سعدان، فأخضعه لاستجواب تقريري تفصيلي عن مجموعة الأحاديث التي سامر بها الوزير ابن سعدان، وقد ابتلع التوحيدي هذه الإهانة فحول قبوله الاستجواب إلى عمل فني، وكتاب أدبي سماه **الإمتاع والمؤانسة**، وذكر أنه زاد عليه من وافر ثقافته الفلسفية والإسلامية، وذلك من باب تحسين الصياغة والتنميق؛ لأجل أن يحفظ من بعد للتاريخ؛ حيث قال: (ولما كان قصدي فيما أعرضه عليك، والقيه إليك أن يبقى الحديث بعدي وبعدك، لم أجد بداً من تنسيق يزدان به الحديث، وإصلاح يحسن به المغزى، وتكلف يبلغ بالمراد الغاية، فليقم العذر عندك على هذا الوصف، حتى يزول العتب، ويُستحق الحمد والشكر).[٢٨]

ثالثاً: أسلوب أبي الوفاء المهندس في مخاطبة أبي حيان

(إنك تعلم يا أبا حيان أنك قد انطفأت من الري إلى بغداد آخر سنة سبعين (أي سنة ٣٧٠)، بعد فوت مأمولك من ذي الكفايتين (لقب ابن العميد) نضر الله وجهه، عابساً على ابن عباد، مغيظا منه، مقروح الكبد لما نالك به من الحرمان المر، والصد القبيح، واللقاء الكريه، والجفاء الفاحش، والقدع المؤلم، والمعاملة السيئة، والتغافل عن الثواب على الخدمة، وحبس الأجرة على النسخ والوراقة، والتجهم المتوالي عند كل لحظة ولفظة).[٢٩]

إن من أسوأ الأشياء أن يجتمع على أحد قسوتان، فيقع بين فكيهما، فك الزمان الطاغي، وفك الإنسان الباغي، وقد كان هذا شأن أبي حيان، حين لخصه أبو الوفاء المهندس، مخاطباً إياه خطاب الحاسد الحانق المغيظ، مبتدئاً استجوابه استجواب المذنبين، مذكراً له بخيباته وفشله، مريقاً ماء وجهه، مزهوا عليه نافخاً أوداجه مختالاً بقوته، شاهراً سيف سلطته مواليا مننه عليه معددا وجوه تفضله: قائلا: (... وذكرت في الجملة شقاء اتصل بك في سفرك ... فأرعيتك بصري، وأعرتك سمعي، وساهمتك في جميع ما وقرته في أذني بالجزع، والتوجع، والاستفظاع، والتفجع، وضمنت لك تلافي ذلك كله بحاق الشفقة، وخالص الضمير، ووعدتك صلاح الحال عن ثبات النية، وصحة العقيدة، وقلت: أنا أرعى حقك القديم حين التقينا (بأرجان)، وأنا على باب (ابن شاهويه الفقيه)، وارعى حقك الحديث حين اجتمعنا بمدينة السلام سنة ثمان وخمسين، وأُصلُك إلى الأستاذ أبي عبد الله العارض (ابن سعدان)، وأخطب لك قبولا منه، وتخفيف الإذن عليك، وامتلاء الطرف بك، ونيل الحظوة بخدمتك، وملازمتك. وفعلت ذلك حين استكتبك كتاب الحيوان لأبي عثمان الجاحظ؛ لعنايتك به، وتوفرك على تصحيحه، ثم حضنت لك هذه الحال إلى يومنا هذا وهو الوزير العظيم الذي افتقرت الدولة إلى نظره وأمر ونهيه).[٣٠]

ويتابع أبو الوفاء خطابه الاستهزائي التقريعي (الطويل) للتوحيدي، معتذرا عن (التقصير)، كاشفاً عن سر سخطه على أبي حيان، فالغيرة تأكل قلبه؛ لأن أبا حيان خلا بالوزير دون أن يعلمه بذلك، مع أنه هو الذي أوصله إليه، وقربه منه، فيقول له معاتباً بمرارة: (أفكان من حقي عليك في هذه الأسباب التي ذكرتها، أنك تخلو بالوزير– أدام الله أيامه – ليالي متتابعة، ومختلفة، فتحدثه بما تحب وتريد، وتلقي إليه ما تشاء وتختار، وتكتب إليه الرقعة بعد الرقعة)،[٣١] ويضيف أبو الوفاء المهندس احترازاً آخر يدفعه للسخط على أبي حيان، ويستوجب استجوابه في كل ما جرى بينه وبين الوزير، والتدقيق في ذلك، ألا وهو عدم ثقته بمستوى أبي حيان في مجالسة الشخصيات والوزراء؛ حيث يقول له بصراحة فجة خادشة للكرامة: (ولعلك في عرض ذلك تعدو طورك بالتشدق، وتجوز حدك بالاستحقار، وتتطاول إلى ما ليس لك، وتغلط في نفسك، وتنسى زلة العالم، وسقطة المتحري، وخجلة الواثق، هذا وأنت غر لا هيئة لك في لقاء الكبراء، ومحاورة الوزراء، وهذه حال تحتاج فيها على عادة غير عادتك، وإلى مران غير مرانك، ولبسة لا تشبه لبستك، وقل من قرب من وزير خدم فأجاد، وتكلم فأفاد، وبسط فزاد، إلا سكر، وقل من سكر إلا عثر، وقل من عثر فانتعش، وما زهد في هذه الحال كثير من الحكماء الأولين، والعباد الربانيين، إلا لغلظهما، وصعوبتها ومكروه عاقبتها وشدة الصبر على فوارضها ورواتبها وتفسخ المتن بين حوادثها ونوائبها).[٣٢]

إن نظرة أبي الوفاء المهندس هذه إلى أبي حيان نظرة معقدة، تقوم على أكثر من جانب، فهو كما هو واضح جلي، يحتقره في لبسه، وفي سلوكه وتصرفه الشخصي، وهو له أيضا حاسد نادم على إيصاله للوزير، متوجسا أن يتقدم عليه في المكانة والمرتبة والحظوة عنده، وهو يخلط ذلك بتخوفه من (سواد الوجه) عند الوزير؛ لأنه قدم له من هو ليس أهلا لهذا المستوى، وهي هواجس تتكرر عند كثير ممن يشبهون أبا المهندس، وتتكرر يوميا بين الناس في مرافق الحياة المختلفة منذ وجدت الحياة، وستبقى ما بقي الناس.

ويصرح أبو الوفاء المهندس بالسبب الذي يريد من أجله أن يستجوب التوحيدي، –فالتوحيدي على رأيه– جحود، منكر، نسّاء لفضله، ويظن أن أبا الوفاء المهندس لا يتابع حركاته وسكناته، يقول له: (والعجب، أنك مع هذه الخلة، تظن أنها مطوية عني، وخافية دوني، وأنك قد بلغت الغاية وادع القلب، وملكت المكانة ثاني العنان، قد انقطعت عني، وعمن هو دوني، ووقع الغنى عن جاهي، وكلامي، ولطفي، وتوصيلي)،[٣٣] وهذا هو أساس المشكلة كما هو بين واضح، وإنها الغيرة وليس غيرها ووقع الغنى عن جاهي وكلامي ولطفي وتوصيلي. إن كلام أبي الوفاء المهندس ليذكر بكلام الحموات بعد زواج أبنائهن؛ حيث تبدأ القلوب بالغليان، والحسابات تتوالى، والملاحظات لا تنتهي، والمتابعة لا تتوقف والمن والتفضل يرافق كل حركة وسكنة، ويُتبع أبو الوفاء كلامه بالتهديد المباشر لأبي حيان،

وبالحرف الواحد قائلا: (جهلت أن من قدر على وصولك، يقدر على فصولك، وأن من صعد بك حين أراد، ينزل بك إذا شاء، وأن من يحسن فلا يشكر، يجتهد في الاقتصاد حتى يعذر)،[٣٤] وهنا أيضا محور من محاور الموجدة والحنق على أبي حيان يحسن فلا يشكر، ويعني العلاقة بينه وبين التوحيدي، فهو يريد من التوحيدي أن يقدم له تقريراً يومياً عن حركاته، ليضمن أنه لن يتقدم، وليبقى يشعر بالذلة والفضل لأبي الوفاء. ويعود أبو الوفاء المهندس للتصريح عن مدى سخطه على تصرف أبي حيان، وهو ولي نعمته معتذراً للمرة الثانية عن الإطالة؛ لكن ثورته الداخلية، ولهيب حقده المستعر على أبي حيان الجاحد، يجعله يشعر بالاختصار، ولو كان مطولا...! يقول: (ولعل لهب الموجدة يزداد، ولسان الغيظ يغلو، وطباع الإنسان تحتد، والندم على ما أسلفت من الجميل يتضاعف، ولست أنت –أول من بر فعق– ولا أنا –أول من جفي فنق– ثم يشهر أبو الوفاء المهندس استجوابه المشروط في وجه التوحيدي قائلاً: وهذا فراق بيني وبينك، وآخر كلامي معك، وفاتحة يأسي منك، قد غسلت يدي من عهدك بالأشنان البارقي، وسلوت عن قربك بقلب معرض وعزم حي، إلا أن تطلعني طلع جميع ما تحاورتما وتجاذبتما هدب الحديث عليه، وتصرفتما في هزله وجده، وخيره وشره، وطيبه وخبيثه، وباديه ومكتومه، حتى كأني كنت شاهداً معكما، ورقيباً عليكما أو متوسطاً بينكما، ومتى لم تفعل هذا، فانتظر عقبى استيحاشي منك، وتوقع قلة غفولي عنك، وكأني بك وقد أصبحت حران حيران يا أبا حيان، تأكل إصبعك أسفا، وتزدرد ريقك لهفا على ما فاتك من الحوطة لنفسك، والنظر في يومك لغدك، والأخذ بالوثيقة في أمرك).[٣٥] ومع كل هذا، فلم يكتف أبو الوفاء، ولم يشتف، فواصل استهزاءه واحتقاره بأبي حيان، فخاطبه قائلاً: (أتظنن بغرارتك وغمارتك، وذهابك في فسولتك التي اكتسبتها بمخالطة الصوفية والغرباء والمجتدين الأدنياء الأرذياء، أنك تقد على مثل هذه الحال، وأنا منك على حسن الظن بك، والثقة بصدرك وردك، وأطمئن إلى حكك وجردك، واتعامى عن حرك وبردك، هيهات، رقدت فحلمت، فخيرا رأيت وخير يكون).[٣٦]

رابعاً: ردة فعل أبي حيان على كلام أبي الوفاء المهندس

وجه أبو حيان كلامه إلى أبي الوفاء المهندس قائلاً بتذلل: (أقول أيها الشيخ –عطف الله قلبك علي– والهمك الإحسان إلي، في جواب جميع ما قلته واجداً علي، وعاتباً، وقابضاً، وباسطاً، ومرشداً، وناصحاً ما يعرف الحق فيه، ويستبين الصواب منه، غير خائن ولا جانحاً إلى مخالفتك، ولا مريغا للباطل معك، ولا جاحداً لأياديك القديمة والحديثة، ولا منكراً لنعمتك).[٣٧] ويواصل أبو حيان تذللاته متسائلاً مستنكراً على نفسه أن يكون كذلك فيقول: (أأنا أدعك واجداً علي وأرقد وأنت ماقت علي!! ... أأنسى أياديك وهي طوق رقبتي... وزاد حياتي، ومادة روحي)،[٣٨] ويستمر أبو حيان بسوق مثل هذه العبارات المترعة بصدى المرارة والألم النفسي، وعدم الرغبة في مقارعة الخصوم، والاكتفاء بالسلامة وصون

العرض، إلى أن يختم قائلا: (إن الخيانة، ونكث العهود، ونقض المواعيد، ليست من صفات الأحرار الذين يحترمون نفوسهم).[٣٩]

لقد ابتلع أبو حيان كل ما قاله له أبو الوفاء المهندس من كلام جارح موجه له، وتساءل مستفسراً ذليلاً خانعاً: (على هذا الحد كان مقطع كلامك في موجدتك، وإلى هنا بلغ فيض عتبك ولائمتك)،[٤٠] ثم بدأ بتقديم اعتذاره المذل المهين ، فحطم قيمة الجملة الإسمية المبدؤة بضمير الأنا، وحطم خبرها؛ إذ لا قيمة عنده لضمير (لأنا) الخاص به، فخرت الجمل الإسمية عنده متهاوية أمام أبي الوفاء على هذه الصورة المخزية: (أنا سامع مطيع، وخادم شكور، لا أشتري سخطك بكل صفراء وبيضاء في الدنيا، ولا أنفر من التزام الذنب والاعتراف بالتقصير، ومثلي يهفو ويجمح، ومثلك يعفو ويصفح، وأنت مولى وأنا عبد، وأنت آمر وأنا مؤتمر، وأنت ممتثل (بفتح الثاء) وأنا ممتثل (بكسر الثاء)، وأنت مصطنع وأنا صنيعة، وأنت منشئ وأنا منشأ، وأنت أول وأنا آخر، وانت مأمول وأنا آمل، ومتى لم تغفر لي الذنب البكر، والجناية العذراء، والبادرة النادرة فقد أعنتني (من العنت وهو العياء والتعب) على ما كان مني، ودللت على مللك لي، وأنك كنت مترصدا لهذه الهفوة، ومعتقداً بمقابلتها هذه الجفوة، وكرمك يأبى عليك هذا ومثولي بين يديك خدمة لك يحظره عليك).[٤١]

خامساً: الإذعان للاستجواب وشروط التنفيذ

يقول أبو حيان لأبي الوفاء المهندس: أنا أفعل ما طالبتني فيه من سرده جميعه، حلوه ومره، ودقيقه وجليله، وطريه وعاسيه، ومحبوبه ومكروهه، ولكن أبا حيان، يستأذن أبا الوفاء أن يكون سرده ليس على البديهة، ولكن أن يكون سرداً فنياً ملتزماً بالشروط الفنية، وغير الفنية التي اشترطها أبو الوفاء المهندس عليه، مثل أن يكون الحديث مشروحا، وإسناده عاليا مفصلا، ومتنه تاما، ولفظه خفيفا لطيفا، والتصريح غالبا متصدراً (نلاحظ تركيزه على الصراحة) فهو لا يريد أن يخفي عنه شيئاً، بل يريد أن يثبت هذه الفكرة في نفسه، (ويواصل تعليماته بنهيه عن التعريض إلا قليلا، ويواصل: وتوخ الحق في تضاعيفه وأثنائه، والصدق في إيضاحه وإثباته)،[٤٢] قيم عجيبة يطلبها من أبي حيان في مطلبه التحقيقي الاستبياني ويواصل تعليماته الفنية لمطلبه المهين من أبي حيان: (واتق الحذف المخل بالمعنى، والإلحاق المتصل بالهذر، واحذر تزيينه بما يشينه، وتكثيره بما يقلله، وتقليله عما لا يستغنى عنه، واعمد إلى الحسن فزد في حسنه، وإلى القبيح فانقص من قبحه، واقصد إمتاعي (لاحظوا هذا أول مطلب شخصي) بجمعه نظمه ونثره ثم إفادتي من أوله إلى آخره، (المطلب الشخصي الثاني) كما هو ملاحظ قدم المتعة الفنية على الفائدة العلمية، وهو بنصيحته هذه لأبي حيان يرجو أن يكون هذا الاستجواب (وقد سماه المثاقفة) باقياً يروى على مر الزمن، ويكون في ذلك حسن الذكرى).[٤٣] ويواصل إرشاداته وتوصياته المختلفة لأبي حيان،

والتي تعبر عن مستواه النقدي والثقافي قائلاً: (لا تومىء إلى ما يكون الإفصاح عنه أحلى في السمع وأعذب في النفس وأعلق في الأدب، ولا تفصح عما تكون الكناية عنه أستر للعيب وأنفى للريب؛ فإن الكلام صلف تياه لا يستجيب لكل انسان، ولا يصحب كل لسان، وخطره كثير ومتعاطيه مغرور، وله أرن كأرن المهر، وإباء كإباء الحرون، وزهو كزهو الملك، وخفق كخفق البرق، وهو يتسهل مرة ويتعسر مراراً، ويذل طوراً، ويعز أطواراً، ومادته من العقل، والعقل سريع الحؤول، خفي الخداع، وطريقه على الوهم، والوهم شديد السيلان، ومجراه على اللسانى، واللسان كثير الطغيان).[٤٤] لاحظ الأسلوب الفلسفي، وهو يصب في مشكلة أبي حيان الشخصية التي وقع بها مع ابن العارض، فلسانه هو الذي جر عليه البلاء، ثم يحذره من تفضيل اللفظ على المعنى أو المعنى على اللفظ حيث يأمره قائلاً: (وكن من أصحاب البلاغة والانشاء في جانب، ولا تتشبه بهم، ولا تجر على مثالهم، واعرف قدرك تسلم).[٤٥]

سادساً: استشارات فنية قبل الشروع في الجواب على الاستجواب

وكي يكون أبو حيان صادقاً مع أبي الوفاء في رده على استجوابه له؛ فإنه يبيّن له قبل الكتابة مسألة مهمة، وهي أن هناك أموراً كانت مع الوزير لا قيمة لها عند أبي الوفاء المهندس، مثل ما يدور بين الصاحب وخادمه، والرؤساء والناظرين في أمور الدهماء، والمتصفحين لأحوال العامة والخاصة، وأسراراً لا يقف عليها أقرب الناس إليهم وأعز الناس عليهم، وهو مع ذلك مستعد لكتابتها إن كان أبو الوفاء يرغب بذلك، وله من بعد ذلك حرية إشهارها أو عدم إشهارها، وهذه التفاصيل –وإن كانت متعبة لأبي حيان– فإن كل ما يرضي أبا الوفاء المهندس ليس متعباً لأبي حيان وها هو يقسم له على ذلك: (ووالله ما أرى هذا أمرا صعبا إذا وصل إلى مرادك، ولا كلفة شاقة إذا أكسبني مرضاتك"؛[٤٦] لكنه يعطيه وصفاً عاماً عن طبيعة تلك الأشياء؛ حيث يقول: (منها ما يشيط به الدم المحقون، ومنها ما يضحك السن، ومنها ما يدعو إلى الرشاد، ويدل على النصح، ومنها ما يلقح العقل ويزيد في الفهم والأدب، ومنه ما يكون سبباً قوياً على حسن الحال، وطلب العيش)،[٤٧] ثم يضمن حديثه هذا إشارات ملغزة، تشعر من خلالها أنه يريد أن يوصل درساً ما، في الوعظ لأبي الوفاء من حيث لا يشعر، وذلك عبر عبارات مشفرة من مثل: فإن هذه العاجلة (الدنيا) محبوبة، والرفاهية مطلوبة، والمكانة عند الوزراء بكل حول وقوة مخطوبة (يعني أنا وأنت نحب الدنيا والتقرب للوزراء فلا تلمني) والدنيا حلوة خضرة، وعذبة نضرة، ومن شفّ أمله، شق عمله، ومن اشتد إلحاحه، توالى غدوه ورواحه، ومن أسره رجاؤه، طال عناؤه وعظم بلاؤه، ومن التهب طمعه وحرصه، ظهر عجزه ونقصه. ويختم ببيت من الشعر يعلن من خلاله ثقته بعدل الله: من لم يكن لله متهما ... لم يمس محتاجاً إلى أحد، فأبو حيان في هذه العبارات الأخيرة يصيب بمضمونها نفسه هو وأبا الوفاء المهندس فهما يتصارعان كلاهما على الدنيا والمناصب، وقد أعيتهما فطال عناؤهما وعظم بلاؤهما كل حسب مستواه.[٤٨]

ويواصل الدروس المبطنة، من خلال العبارت المشفرة الموحية من مثل: ولا بد من فتى يعين على الدهر، ويغني عن كرام الناس، فضلا عن لئامهم، ويذلل قعود الصبر، ويجم راحلة الأمل، ويحلي مر اليأس، والعزلة محمودة،[٤٩] إلا أنها محتاجة إلى الكفاية، والقناعة مزة فكهة، ولكنها فقيرة إلى البلغة، وصيانة النفس حسنة، إلا أنها كلفة محرجة، وترك خدمة السلطان غير الممكن، ولا يستطاع إلا بدين متين، ورغبة في الآخرة شديدة وفطام عن دار الدنيا صعب، ولسان بالحلو والحامض يلغ، فهو يبدو كأنه يبرر لنفسه كلام المجاملة والمدح للوزراء والذوات،[٥٠] ويبرر سبب هذه الطبيعة للإنسان، فهو بشر بنيته متهافتة، وطينته منتثرة، وله عادة طالبة، وحاجة هاتكة، ونفس جموح، وعين طموح، وعقل طفيف، ورأي ضعيف، يهفو لأول ريح ويستخيل لأول بارق.[٥١]

ويعود أبو حيان للحديث عن الفقر؛ فيقول: (ونرجع فنقول: ونعوذ بالله من الفقر خاصة، إذا لم يكن صاحبه تقيا صابراً متحملاً)،[٥٢] وهذا الرجوع من أبي حيان للحديث عن الفقر ما هو إلا دفاع عن قبوله الذل من أبي الوفاء، وتوجيه مبطن لأصحاب السلطة والقدرة ألا يفرطوا في الظلم، فلولا الحاجة لما لبى له طلبه هذا.

الخاتمـــة:

توصل البحث إلى نتائج مهمة، ومنها:

١. كم هو رائع أن تكون الدوافع وراء الأعمال الجميلة دوافع ابداعية عفوية بحتة أو إرادية ذاتية نابعة من رغبة داخلية خالصة؛ أما أن تكون الدوافع قسرية جبرية تحت التهديد، فهذا ما يسيء ويحزن، ولعل كثيراً من الأعمال الإبداعية الجميلة التي نعرفها كان السبب وراء كتابتها أمراً شخصياً محزناً أو مهيناً، ولكنه ظل مجهولاً فلم يعرف وبقي طي الكتمان.

٢. لقد دفع الحبس والسجن في بعض الأحوال المحبوسين والمسجونين إلى التفرغ للكتابة والتأليف وكذلك دفع القعود المقعدين إلى الإبداع وكذلك دفعت ردة فعل بعض حالات الفشل في الحب أو العجز عن الوصول هدف معين إلى الإبداع وذلك تعويضا عن الخلل الذي حصل في ميزان التوازن النفسي الداخلي عند هذا النوع من المبدعين.

أما أن يكون الدافع وراء التأليف والإبداع غير أخلاقي قائم الإذلال والتسلط والتحكم المشبع بالغيرة والحقد والحسد فهذا شيء مستغرب مؤلم خاصة أن يكون من صديق إلى صديقه.

٣. لقد كان الباعث على تأليف كتاب الإمتاع والمؤانسة هو طلب بصورة استجواب وتحقيق شرطي أمر به أبو الوفاء المهندس صديقه أبا حيان التوحيدي، وهذا ما صرح به أبو حيان تصريحا في مقدمة كتابه فتغير طعم الإمتاع وتغير طعم المؤانسة.

هوامش البحث:

[١] **ابن سعدان:** هو نفسه ابن العارض، كما استقر رأي الاستاذ أحمد أمين محقق كتاب الامتاع والمؤانسة، وقد كان وزيراً لصمصام الدولة البويهي والد عضد الدولة البويهي بعد وفاته عام ٣٧٣ هـ، وكان واسع الاطلاع، قتل بمكيدة من خصم له اسمه ابو القاسم بن عبد العزيز عام ٣٧٥ هـ.

[٢] انظر: البهنسي، عفيف، **فلسفة الفن عند التوحيدي**، ط١، (دمشق: دار الفكر، ١٩٨٧)، ص١٣.

[٣] انظر: المحاسني، زكي، **المتنبي**، ط٥، (بيروت: دار المعارف، ١٩٨٠)، ص١٩.

[٤] انظر: عباس، إحسان، **أبو حيان التوحيدي**، ط٢، (الخرطوم: جامعة الخرطوم، ١٩٨٠)، ص ٤٤،٤٣.

[٥] انظر: المحاسني، زكي، **المتنبي**، ص١٩.

[٦] انظر: عباس، إحسان، **أبو حيان التوحيدي**، ص٤٣ ،٤٤.

[٧] انظر: البهنسي، عفيف، **فلسفة الفن عند التوحيدي**، ص٣٣.

[٨] انظر: المرجع السابق، ص ٣٤، ٣٥.

[٩] انظر: المرجع السابق نفسه، ص٩.

[١٠] انظر: الحموي، ياقوت، **معجم الأدباء**، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩١)، ج٤، ص٢٨٧.

[١١] انظر: السامرائي، محمد رجب، **أبو حيان التوحيدي: إنساناً وأديباً**، ط١، (القاهرة: الأوائل للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م)، ص٣٣، ص٢٨.

[١٢] انظر: عباس، إحسان، **أبو حيان التوحيدي**، ص٢٨،٢٩.

[١٣] انظر: إبراهيم، محمود، **أبو حيان التوحيدي، قضايا الإنسان واللغة والعلوم**، (بيروت: الدار المتحدة، ١٩٧٤م)، ص٥٣.

[١٤] انظر: عباس، إحسان، **أبو حيان التوحيدي**، ص١٤.

[١٥] التوحيدي، أبو حيان، **الامتاع والمؤانسة**، تصحيح: أحمد أمين وأحمد الزين، (بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ت)، ج٢، ص١٩٤.

[١٦] انظر: عباس، إحسان، **أبو حيان التوحيدي**، ص١٥٩، ص١٢٨.

[١٧] انظر: المرجع السابق، ص١٣٤.

[١٨] انظر: المرجع السابق نفسه، ص٥١-٥٢

[١٩] انظر: نفسه، ص١١.

[٢٠] انظر: السامرائي، محمد رجب، **أبو حيان التوحيدي: إنساناً وأديباً**، ص٥٦.

[٢١] فشر، آرنست، **ضرورة الفن**، (عمان: مكتبة الأسرة، ١٩٩٨م)، ص٢٨٢.

[٢٢] المرجع السابق، ص١٩٠.

[٢٣] التوحيدي، أبو حيان، **الامتاع والمؤانسة**، ج٢، ص١.

[٢٤] انظر: السامرائي، محمد رجب، **أبو حيان التوحيدي: إنساناً وأديباً**، ص ٥٦.

[٢٥] انظر: عباس، إحسان، **أبو حيان التوحيدي**، ص١٠٤.

[٢٦] انظر: المرجع السابق، ص١٢٦.

[٢٧] التوحيدي، أبو حيان، **الامتاع والمؤانسة**، ج١، ص٥٢-٥٣.

[٢٨] التوحيدي، أبو حيان، **الامتاع والمؤانسة**، ج٣، ص١٦٢.

[٢٩] المرجع السابق، ص٣-٤

[٣٠] المرجع السابق نفسه، ص٤-٥.

[٣١] نفسه، ص٥.

[٣٢] نفسه، ص٥-٦

[٣٣] نفسه، ص٦.

[٣٤] نفسه، ص٦.

[٣٥] نفسه، ص٦-٧

[٣٦] نفسه، ص٧.

[٣٧] نفسه، ص١٠-١١.

[٣٨] نفسه، ص١١.

[٣٩] نفسه، ص١١.

[٤٠] نفسه، ص٧.

[٤١] نفسه، ص٧-٨.

[٤٢] نفسه، ص٨-٩.

[٤٣] نفسه، ص٨-٩.

[٤٤] نفسه، ص٩.

[٤٥] نفسه، ص١٠.

[٤٦] نفسه، ص١٣.

[٤٧] نفسه، ص١٣.

[٤٨] انظر: نفسه، ص١٣.

[٤٩] انظر: نفسه، ص١٣.

[٥٠] انظر: نفسه، ص١٤.

[٥١] انظر: نفسه، ص١٤.

[٥٢] نفسه، ص١٦.

References المراجع

abbās, Iḥsān, *'abū Ḥaiyyān alTawḥidiy*, 2nd Edition, (Khartoum: Jāmi'ah alKhartom, 1980).

Al-Ḥamawiy, Yāqūt, *Mu'jam a'udabā'*, 1st Edition, (Beirut: Dār al-Kutub al-'ilmiyyah, 1991).

Al-Bahnasiy, 'afif, *Falsafah al-Fan 'ind al-Tawḥidiy*, 1st Edition, (Damascus: Dār al-Fikr, 1987).

Al-Maḥāsiniy, Zaki, *al-Mutanabiy*, 5th Edition, (Beirut: Dār al-Ma'ārif, 1980).

AlSāmarrā'iy, Moḥammad Rajab, *'abū Ḥaiyyān alTawḥidiy: Insānan Wa 'adiban*, 1st Edition, (Cairo: al-'awā'il Lilnasher Wa al-Taūzi', 2002).

Al-Tawḥidiy, 'abū Ḥaiyyān, *al-'imtā' Wa alMu'ānasah*, Taṣḥiḥ: 'aḥmad 'amin Wa 'aḥmad al-Zin, (Beirut: Dār Maktabah al-Ḥaiyāt, 2006).

Feshar, 'ārnist, *Ḍarorah al-Fan*, (Amman: Maktabah al-'usrah, 1998).

Ibrāhīm, Maḥmod, *'abū Ḥaiyyān al-Tawḥidiy, Qaḍāiyā alInsān Wa al-Lughah Wa al-'ulūm*, (Beirut: al-Dār al-Mutaḥidah, 1974).